

آيات ا في خلق الإنسان



« في نهاية القرن السابع عشر عندما اكتشف الميكروسكوب المكبر.. المجهر.. تصوّروا بعد أن شاهدوا الحيوانات المنوية.. مع أنّ المجهر كان صغيراً في ذلك الوقت.. تصوّروا أنّ الإنسان بذرة مثل الشجرة الصغيرة.. فتصوّروا أنّ الإنسان مختزل في الحبة المنوية فرسم له العلماء صورة وتخلوا الإنسان يوجد كاملاً في النطفة المنوية غير أنّه ينمو.. ومنذ 60 عاماً تأكّدوا من أنّ الإنسان لا يوجد إنسان دفعة واحدة إنما يمر بأطوار ومراحل طوراً بعد طور ومرحلة بعد مرحلة وشكلاً بعد شكل منذ 60 عاماً وصل العلم إلى إحدى الحقائق القرآنية.

يقول الشيخ الزنداني التقينا مرة مع أحد الأساتذة الأمريكيان بروفيسور أمريكي من أكبر علماء أمريكا اسمه بروفيسور مارشال جونسون قلنا له: ذكر في القرآن أنّ الإنسان خلق أطواراً فلما سمع هذا كان قاعداً فوق وقال: أطواراً؟! قلنا له: وكان ذلك في القرن السابع الميلادي! جاء هذا الكتاب ليقول: الإنسان خلق أطواراً!! فقال: هذا غير ممكن.. غير ممكن.. قلنا له: لماذا تحكم عليه بهذا؟ هذا الكتاب يقول: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) (الزمر/ 6) (مَّا لَكُمْ لَّا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَفَدَّ خَلْقَكُمْ أَطْوَارًا) (نوح/ 13-14). فقعد على الكرسي وهو يقول: بعد أن تأمل: أنا عندي الجواب: ليس هناك إلا ثلاث احتمالات: الأول: أن يكون عند محمد ميكروسكوبات ضخمة.. تمكّن بها من دراسة هذه الأشياء وعلم بها ما لم يعلمه الناس فذكر هذا الكلام!. الثاني: أن تكون وقعت صدفة.. وهذه جاءت صدفة. الثالث: أنّ رسول من عند ا.

قلنا: نأخذ الأول: أمّا القول بأنّه كان عنده ميكروسكوب وآلات أنت تعرف أنّ الميكروسكوب يحتاج إلى عدسات وهي تحتاج للزجاج وخبرة فنية وتحتاج إلى آلات وهذه معلومات بعضها لا تأتي إلا بالميكروسكوبات الإلكترونية وتحتاج كهرباء والكهرباء تحتاج إلى علم وهذه العلوم لا تأتي إلا من جيل سابق ولا يستطيع

جيل أن يحدث هذا دفعة فلابد أن للجيل الذي قبله كان له اشتغال بالعلوم ثم بعد ذلك انتقل إلى الجيل الذي بعده ثم هكذا... أمّا أن يكون ليس هناك غير واحد فقط.. لا أحد من قبله ولا من بعده ولا في بلده ولا في البلاد المجاورة والرومان كذلك كانوا جهلة ما عندهم هذه الأجهزة والفرس والعرب كذلك! واحد فقط لا غير هو الذي عنده كل هذه الأجهزة وعنده كل هذه الصناعات وبعد ذلك ما أعطاه لأحد من بعده.. هذا كلام ما هو معقول! قال: هذا صحيح صعب نقول: صدفة.. ما رأيك لو قلنا لم يذكر القرآن هذه الحقيقة في آية بل ذكرها في آيات ولم يذكرها في آية وآيات إجمالاً بل أخذ يفصل كل طور: قال: الطور الأوّل يحدث فيه وفيه الطور الثاني كذا وكذا والطور الثالث.. أيكون هذا صدفة؟! فلما عرضنا التفاصيل والأطوار وما في كل طور قال: الصدفة كلام غلط!! هذا علم مقصود قلنا: ما في تفسير عندك: قال: لا تفسير إلا وحي من فوق .

هذه النطفة هذا المنى.. منى الرجل ومنى المرأة.. هذا كلاًه فيه ماء المرأة وماء الرجل ومن بين هذا المنى هذه النطفة قطرة كبيرة.. في داخل النطفة بويضة المرأة أغلقت الأبواب! ممنوع دخول حيوان منوي ثاني قضى الأمر فإذا انتهى.. بدأت تتخلّق وهذا أوّل طور من أطوار الإنسان (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) (المؤمنون/ 12-13). هذه النطفة في لغة العرب معناها القطرة.. نُطْفِ الإِنَاءِ يعني قطر الإِنَاءِ إحداها نطفة.. يعني قطرة من سائل هذا السائل وهذه القطرة.. هذه النطفة يتقرر فيها كل شيء بالنسبة للإنسان.. كل صفات الإنسان تتقرر وهو نطفة وتتقدر وهو نطفة ولذلك قال تعالى: (قَتَلْنَا الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) (عبس/ 17-19). من قال لسيدنا محمد: إن الإنسان مقدر في داخل النطفة بكل تفاصيله التي سيكون عليها ثم من ضمن ما سيقدر به هذا الإنسان كونه ذكراً أم أنثى؟.

فهمنا أن في هذه النطفة يتقرر ما إذا كان هذا المخلوق ذكراً أم أنثى.. هل تصوّر أحد من البشر أن نطفة الماء حال الإِنَاءِ يتقرر مصيرها وما يخرج منها ذكراً وأنثى؟! هل يخطر هذا بالبال؟! لكن القرآن يقول: (وَأَنزَلْنَاهُ خَلْقَ الزُّرِّيِّ وَجَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى) (النجم/ 45-46). حال إِمْنَاءِ إذا تمنى.. وقد قدّر ما سيكون عليه ذكراً أو أنثى قد تحددت!! من أخبر محمّداً بذلك (ص) إلا إنا. هذه حاملات الوراثة داخل النطفة تلك.. هذه لم تُعرف إلا بعد اكتشاف الميكروسكوب الإلكتروني والميكروسكوب الإلكتروني من الأربعينيات.. يعني له نصف قرن تقريباً منذ أن عُرف.. عرفوا أن الذكورة والأنوثة تتقرر في النطفة.. يعني كنا في أوائل القرن العشرين وكانت البشرية بأجمعها لا تعلم أن الذكورة والأنوثة مقررة في النطفة لكن الكتاب الذي نزل قبل أربعة عشر قرناً يقرر هذا في غاية الوضوح وارجعوا إلى كُتُب التفسير كلاًها تقرر هذا إيماناً بما جاء في هذا الكتاب .

هناك حديث عن الرسول (ص) يخبرنا عن النطفة أين تستقر؟ وكيف يكون حالها قبل الاستقرار؟ قال (ص): "يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم". أي أن النطفة هذه تستقر في الرحم معناه أنزها كانت قبل الاستقرار.. أنزها كانت متحركة.. صحيح كانت متحركة.. هذه البويضة خرجت من الأنثى وهذه الحيوانات جاءت من الرجل من هنا.. فحيوانات الرجل جاءت من هنا وتركت إلى هنا وكان هذا مكان اللقاء ونطفة المرأة جاءت من هنا وتم اللقاء هنا وتم التلقيح وتركت هذا المكان وتحركت حتى وصلت إلى الرحم فاستقرت يعني ما كانت في حالة غير مستقرة ثم استقرت قال (ص): "يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو بخمس وأربعين" فمن أخبر محمّداً (ص): أن النطفة تأتي عليها فترة لا تكون فيها مستقرة ثم تستقر؟!.

هذه النطفة.. وهذا جدار الرحم.. هذه النطفة شقت جدار الرحم من هنا ودخلت كما تشق التربة وتوضع البذرة وتُدفن بالضبط هذه النطفة شقت الرحم وبعد ذلك دُفنت فغارت في لحم الرحم وغطى عليها ولذلك نجد جميع كُتُب الطب والتشريح والأجنة تذكر هذه المرحلة وتسميها مرحلة الغرس.. ويشبهون الرحم بالتربة التي وضعت فيه البذرة وهم بتشبيهم هذا يظنون أنهم يأتون بالوصف الدقيق المتلائم مع الواقع ولكنهم سيفاجئون عندما يرون آية تصف المرأة وتقول: (نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ) (البقرة/ 223). أي أنزها موضع الحرث ويكون فيها حرث لاحتوا أيها الإخوة هذه النطفة وهي تدخل إلى هنا أوّل علاقة لها بالرحم قالوا: ماذا يحدث؟ قلنا: تغور.. تدخل.. يحدث هنا شيان: الشيء الأوّل: أن الرحم يأخذ من النطفة غلافها.. الغلاف يؤخذ منها والجنين ينفذ من هذا الغلاف وهذه المكونات ثم

المسألة الثانية: أزّها تغور إلى الداخل فهناك شيان: نقص للنطفة وغور لها هناك لفظ عربي لا يوجد لفظ مثل هذا اللفظ يحقق المعنيين.. هذا للفظ ذكره □ في كتابه واصفاً لعلاقة الإنسان برحم أمّه ولكني سأذكر معناه.. هذا اللفظ هو غاص.. الغيض.

قال تعالى: (وَ قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَ غِيضَ السَّمَاءِ) (هود/ 44). فغاص تأتي بمعنيين تأتي بمعنى غار وتأتي بمعنى نقص أو تأتي بالمعنيين معاً: وغيض الماء أو غار وتأتي بالمعنيين معاً: وغيض الماء أو غار الماء ونقص.. فغاضت النطفة هنا تأتي بالمعنيين غار في جدار الرحم ونقص منه جداره وجزء منه لتتكوّن منه المشيمة في الرحم ويبقى شيء آخر □ يقول: (□ يُعَلِّمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُ نْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) (الرعد/ 8) وغيض الرحم هنا مفتاح من مفاتيح الغيب وهنا افتحوا أذهانكم هذه النقطة ميدان معركة ما بين طلاب المدارس الدينية وطلاب المدارس العلمية حول معرفة أزّه ذكر أو أنثى .

أنتم لا تؤمنون أن العلم اكتشف أزّه ذكراً أو أنثى.. لا تؤمن خذ بطاقة الرجعيين.. وهذا يأخذ بطاقة الكفر هذا العلم السطحي يوصل إلى هذه النتائج لكن التعمّق في العلم يوصل إلى غير هذا وما أقوله لكم - سبحان □ - كنت أحسب أنّي قد وصلت إلى هذا بعد طول عناء فإذا بابن كثير - رحمه □ - يسبقنا إليه ويقرر المعنى الأمر الأول تقول: (□ إن □ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّمَاءِ وَ يُنزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) (لقمان/ 34). فهّمها الناس على عمومها فلا يمكن لأحد أن يعلم أن في الرحم شيئاً ومَن قال إنّه عليم شيئاً فقد كفر كل ما في الرحم (ابن كثير) جمع النصوص فكّر فيها تأمّل.. كيف يكون هناك مفتاح للغيب لا يعلمه إلا □ وقد ورد في الأحاديث الصحيحة: "أن الملائكة تعلم ما سيكون عليه المخلوق في بطن أمّه تعلم رزقه وأجله شقياً أو سعيداً ذكراً أو أنثى" تعلم عنه كل هذه التفاصيل بل ما سيكون فكيف يقال بعد ذلك: إن هذا العلم لا يعلمه إلا □ هذا ابن كثير شيخ السادة المتكلمين ..

هذا ابن كثير المرجع في التفسير يقول: كيف نجمع بين النصوص هل يكذب نص ناصاً؟ هل النبي (ص) يكذب نفسه بنفسه يقول: (لا يعلم إلا □) ثم يقول: (الملائكة تعلم).. لا وإ □ إنّه الجهل بفهم النصوص. نعم. الجهل فقرر ابن كثير وجمع بين النصوص وهذا منهج العلماء قال: لا يعلم أحد من أمر الجنين شيئاً من العلم إلى ما قبل علم الملك فإذا علم الملك علمنا أن غير □ قد علم وهو الملك ومَن شاء □ من خلقه ..

وإذا هذه النصوص الخاصّة خصت العموم وهذه الألفاظ المقيدة قيّدت الإطلاق فعلمنا الأمر المحجوب عن علم غير □ إنّه هو في مرحلة من مراحل الجنين وتجلّى الأمر بوضوح لا بكلام ابن كثير بل بكلام سيّد الأنبياء والمرسلين محمّد (ص) حيث قال (ص) في الحديث الذي رواه البخاري عن عبداً □ بن عمر (رض) قال: مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا □: لا يعلم ما في غد إلا □ ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا □ - (ما تغيض لا ما تزداد) ففرّق بين أمرين: الآية قالت: (□ يُعَلِّمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُ نْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) (الرعد/ 8). فالأرحام لها حالتان حالة تعلق بالجنين وإ □ يعلم الحالتين بالتمام والكمال والمحجوب عن علم غير □ هو الغيض الذي يعلمه هو وحده "مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا □: لا يعلم ما في غد إلا □ ولا يعلم ما تغيض الأرحام" فهذا قيّد لنا المرحلة من العلم هذا الأمر الأول أمّا الأمر الثاني: أن ما تغيض الأرحام يسميه الرسول (ص) مفتاحاً من مفاتيح الغيب يفتح على أبواب علم قادمة..

أي على أحوال قادمة فالذين ذهبوا إلى أن الغيض هو دم الحيض هو فهم في الحقيقة لا يكون بهذا مفتاحاً للغيب دم الحيض ما هو مفتاح للغيب فالرسول (ص) يقول مفتاح الغيب: ما تغيض الأرحام - دم الحيض - ليس مفتاحاً للغيب لأنّه لن ينشأ منه جنين أو إنسان أو مخلوق وإجماع علماء المسلمين مفتاح الغيب متعلق بالأجنة وبإنسان الذي سيخلق فإذا مفتاح الغيب هذا متعلق بالأجنة التي ستخلق ومعلوم أن دم الحيض لا يخلق منه إنسان ومَن ذهب إلى هذا التفسير غير المقصود فهذا لا يستقيم مع المعنى أنّه مفتاح من مفاتيح الغيب وإ □ أعلم.. إذا ما تغيض الأرحام هذه مرحلة الغيض تأتي بعد هذا مرحلة الازدياد ..

في مرحلة الغيص هذه يستحيل على إنسان أن يعرف صفات الجنين. في هذه المرحلة مستحيل.. أتدرون لماذا؟ لأنّه إذا صفنا صفتين.. لوجئت بصفتين من الأحجار ووضعت الصفتين بجوار بعض وقلت لإنسان: أنا سأصنع من هذا بناء هل سيعلم أكون من الصفتين مدرسة أم مستشفى؟ هل سيعلم أيكن منها فيلاً أم عمارة؟ صفتين فقط هكذا الإنسان في هذه المرحلة فلو أراد الإنسان أن يمتحن شيئاً من صفات هذا الجنين وأخذ خلية واحدة فلو نزع الجهاز التنفسي لأنّ الجهاز التنفسي يكون هنا ممثلاً بخلية واحدة فلا يستطيع الإنسان أن يكتشف ما يكون أمر هذا المخلوق في مرحلة الغيص بينما هو مقدّر تقديراً كاملاً ما سيكون عليه هذا الإنسان.

والتقيت بأحدهم فهذا المرشال جونسون الذي قام وقعد وهو من كبار المختصين بعلم الوراثة والدارسين لعلم (الكروموزومات) في أمريكا.. قلت له: هل حاولتم أن تعرفوا صفات الإنسان التي ستكون في المستقبل في مرحلة الغيص هذه؟ قال: نعم. حاولت لقد قمت بتجربة على بعض كروموزومات بعنى حاملات الوراثة واستمر بحثي عليها عشر سنوات وأنا أحاول أن أفهم كيف سينشأ مخلوق من هذا؟! وماذا سينشأ من هذا الجزء الذي بين يدي في المستقبل؟! وقلت له: ماذا كانت النتيجة؟ قال: بكيت!! قلت: لماذا؟ قال: لأنّي فشلت ولم استطع أن أعرف شيئاً قلت له: أحسنت!! هذا عندنا موجود إنك لن تستطيع أن تعرف وإنّ هذه المرحلة لا تستطيع أن تعلم عنها شيئاً ولا تستطيع أن تفهم عنها شيئاً.

إذاً أيّها الإخوة نقول: معرفة ما في الجنين (أحوال وصفات الجنين) كما قال ابن كثير من قبل هي في فترة زمنية محددة يكون الجهل أمّاً إذا علم الملك انتهى أمّاً حديث الرسول (ص) فهو يفيد هذه المرحلة مرحلة الغيص ويجعلها هي مفتاح الغيب فإذا نقول: إنّ مرحلة الازدياد مرحلة مفتوحة ممكن للإنسان أن يعلم وإذا رأينا متى علم الملك جاء في مرحلة الازدياد و[] أعلم.. مفهوم هذا يا إخوان هذه صورة الجنين بعد أن يتحوّل من نطفة يتحوّل إلى هذه الصورة.. هذا الجنين وهذه صورة للعلق الذي يوجد في الماء.. الذي يتعلق في أفواه الأغنام والأبقار فيمتص منها الدماء.. هذا هو الطور الثاني وهذه هي العلقه وهذا هو الجنين يكون محاطاً بالماء والعلقه تكون محاطة بالماء. العلقه هذه تتعلق لتمص الدماء، الجنين أيضاً يتعلق ليمص الدماء.

كيب مور هذا العالم الذي قلت لكم عنه من كبار علماء الأجنة.. أخذ قطعة من الطين ومضعها بأسنانه ووضع هذه بجوار هذه وقال: هذه مضغه جنين وهذه مضغه بأسنان وهذه مرحلة ما بعد العلقه ولذلك قال تعالى: (وَخَلَقْنَا الْعِلْقَانَ الْمُضْغَةَ عِظَامًا) (المؤمنون/ 14) المضغه من صفاتها.. أوّل ما تأخذ المضغه تمضعها تستطيل.. ثم تمضعها ثانية فيتغيّر شكلها ثم تمضعها ثالثة فتأخذ شكلاً ثالثاً وتمضعها مرة أخرى فتأخذ شكلاً آخر ومع كلّ مضغه هي تدور الجنين في هذه المرحلة بالضبط هكذا الجنين في هذه المرحلة تظهر فيه نقاط وكأَنَّها أماكن المضع ثم يدور.. فالمضغه هنا في الحقيقة أصدق وصف لها أن فيها شيئاً قد تخلق وفيها جزء لم يتخلّق فأصدق وصف لها أنّها مُخلقة وغير مُخلقة ولذلك جاء وصفها في القرآن بهذا الوصف (ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ) (الحج/ 5) من قال لمحمد (ص)؟ هل كان عنده أجهزة تشريح وقياسات؟!.

هذه عبارة عما وصل الجنين في هذه المرحلة واحد سم.. يعني قريب من واحد سم.. انظروا واحد سم يعني ماذا؟.. هذا الكلام داخل واحد سم. الآن العظام تبدأ في الزحف على الجمجمة.. هذه العين. هذه الجمجمة (وَخَلَقْنَا الْعِلْقَانَ الْمُضْغَةَ عِظَامًا) (المؤمنون/ 14) وفي كثير من النقاش مع الدكاترة كنا نسألهم: أيّهما الأوّل العظام أم اللحم؟ فكانوا يقولون لنا: هما معاً في وقت واحد.. فلما كنا نطلب منهم مراجعة كُتُبهم فيقولون: لا العظام ثم بسرعة يأتي بعده اللحم وفي ذلك قوله تعالى: (فَكَسَوْا نَا الْعِظَامَ لَحْمًا) (المؤمنون/ 14) فكسونا العظام لحماً.

هذا عندما ينتهي كساء العظام باللحم تبدأ مرحلة من المراحل.. أهم ما في هذه المرحلة أنّ الجنين ينمو، ينشأ، يتزرع جسمه وبدنه ويكون أهلاً لكي تسكن الروح هذه المرحلة.. فإذا توقفنا عن قوله سبحانه: أنشأناه وجدنا أن ينشأ بمعنى أسكنت فيه الروح وينشأ بمعنى نما الجسد وترعرع وإذا بحثت في لغة العرب عن لفظ يدل على المعنيين: يدل على النمو ويدل على النشأة المحدثة لا تجد لفظاً غير ينشأ فإن نشأ يدل على النمو (إِنَّ زَيْنًا أُنشِئَتْ زَاهِنًا) (النساء) (الواقعة/ 35) ويدل على الخلق وعلى الإيجاد من العدم وفي هذه المرحلة يحدث شيئان: أمّاً البدن فينمو ويتزرع وأمّاً الروح فتنفخ وبهذا تتم النشأة الكاملة للإنسان (ثُمَّ أَنْشَأْزَاهُ خَلْقًا آخَرَ) (المؤمنون/ 14) بعد خلق هذه

المرحلة لا يوجد مخلوق في الوجود يشابه هذا الإنسان لا يوجد حيوان ولا نبات ولا ملاك ولا جنى ولا أرض ولا سماء ولا شهب ولا شيء في الكون مثل هذا الإنسان المكوّن من مادة وروح ثم لا توجد صورة من بني آدم تشبه هذه الصورة لهذا المخلوق صورة خلق آخر (ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون/ 14).

أرأيتم الأطوار؟! أرأيتم المصغة؟! أرأيتم العظام؟! أرأيتم كساء اللحم للعظام؟! أرأيتم الإنشاء ليصبح خلقاً آخر؟! أرأيتم هذه الأطوار التي كانت محجوبة. اقرءوا معي بقية الأطوار في نفس الآية (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَاقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَاقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْعِظَامَ الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّا نَزَّلْنَاكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا يَتَدُونُ) (المؤمنون/ 14-15).

المصدر: كتاب العلم طريق الإيمان